الرياض

منعطف السلام وحقيقة الصهيونية

فهد بن عبدالله السماري

تجسدت مكانة المملكة العربية السعودية وقوتها السياسية والاستراتيجية مجدداً في قرار القمة العربية في بيروت الذي أيد بالاجماع مبادرة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لتصبح مبادرة عربية لتحقيق السلام في المنطقة بناء على اعادة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني. ولاشك أن التفاف الدول العربية حول المبادرة السعودية يعيدنا إلى ذلك الالتفاف الذي حدث في عام 1402هـ لتأييد مبادرة خادم الحرمين الشريفين التي أقرت في قمة فاس، مما يدل على استمرار الموقف السعودي الداعم للقضية الفلسطينية من منطلقات ومبادئ ثابتة ترتبط بالقضية ذاتها.

ولقد رسمت لنا تلك الصور الرائعة التي نقلت لنا ولجميع المشاهدين العرب والمسلمين مواقف صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز أثناء قمة بيروت لتحقيق مبادرة متوازنة تأخذ في الاعتبار جميع الحقوق الشرعية للفلسطينيين بعد التشاور العربي أثناء القمة. والصورة الأخاذة الأخرى هي تلك المصالحة مع القيادة العراقية لتعلن المملكة العربية السعودية عن موقفها الحقيقي المتمثل في أنها تتيح الفرصة أمام أي دولة أو فرد لتصحيح أي خطأ حدث والسير نحو الأمام لتفويت الفرصة على المتربصين من استغلال تلك الخلافات العربية - العربية لصالح الأعداء خاصة في ظروف حالكة مثل هذه التي يمر بها العالم العربي اليوم.

وخلال الأربع وعشرين ساعة الأولى التي تلت اعلان المبادرة العربية كشفت إسرائيل مجدداً عن مزيد من حقيقة مواقفها العدوانية وسياساتها الاحتلالية البشعة عندما قامت باحتلال الأراضي الفلسطينية ومحاصرة الرئيس ياسر عرفات وقتل المدنيين والأبرياء وتحويل المدن الفلسطينية إلى تراسانات حربية مقيتة.

فياترى لماذا حدث هذا!؟!

هناك من يرى أن هذا العدوان الوحشي الصهيوني هو ردة فعل مباشرة لنجاح القمة العربية التي خرجت بمبادرتين مهمتين هما السلام والبدء في عودة العراق إلى علاقات طبيعية مع الدول العربية وخاصة المملكة العربية السعودية والكويت. وهناك من يرى أنها سياسة خبيثة من حكومة إسرائيل لمنع وصول نتائج القمة العربية إلى أنحاء العالم عبر وسائل الإعلام وتصبح ماثلة أمام الجميع لكي تعكس حقيقة الموقف العربي المنادي للسلام وحقيقة الحكومة الصهيونية المنادية للعدوان والاحتلال. فمن خلال اشغال العالم بأخبار الأحداث في الأراضي الفلسطينية تصبح قرارات القمة العربية في وضع إعلامي وسياسي أقل بعد انتهاء أعمال القمة وتعهد الدول العربية بمتابعتها.

وهناك من يرى أن هذا العدوان هو للوصول إلى وضع جديد يمكن إسرائيل من فرض شروط اضافية يدعمها احتلال جديد للأراضي الفلسطينية من منطلق الاعتراف بالأمر الواقع!!

لاشك أن هذه الرؤى ربما تكون كلها صحيحة إلا أننا لابد أن نعود بالذاكرة إلى حدث آخر مماثل في الظروف والمسلك يثير لدينا تساؤلاً مهماً حيال منهج الدولة العبرية التي تنشد العدوان وليس السلام. ففي عام 1402هـ/ 1982م أقرت قمة فاس مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لتصبح مبادرة عربية، بينما واصلت القوات الإسرائيلية اجتياحها للبنان وتضييق الحصار على الفلسطينيين والسيد ياسر عرفات.

هذا هو موقف الحكومة الإسرائيلية من السلام الحقيقي الذي يكفل لأصحاب الحق حقهم المشروع، وهذا هو موقف العرب من السلام المبني على العدل والانصاف.

والملفت للنظر في الأحداث التي مرت وتمر أمامنا في هذه الأيام التمويه والمماطلة وخلط المفاهيم لتكون في صالح القوي المدعوم بقوة عظمى مهما كانت خاطئة وغير صحيحة. فبالأمس القريب تدخل من تدخل لانقاذ إسرائيل أثناء الحرب في عام 1367هـ / 1948م من خلال سياسة الهدنة والاتفاقات المؤقتة التي لا تصمد عندما ينتهي الخطر إلى جانب السلاح والغطاء

الدبلوماسي! ففي تلك الحرب كانت هناك مشروعات مثل مشروع الكونت برنادوت وهدنة مثل هدنة رودس وهكذا، واليوم هناك تقرير ميتشل وتقرير تينيت وأخيراً تقرير زيني!!!

تؤكد لنا هذه الأحداث والتساؤلات وغيرها كثير أن الدولة الصهيونية تنشط في عدوانها وتعقيدها للوضع أكثر عندما تهب رياح السلام، وتصبح أكثر وحشية وقسوة عندما تصبح لغة السلام واضحة وصريحة وحقيقية حتى ولو على حساب بعض المبادئ في الجانب العربي.

وعلينا أن ندرك أن إسرائيل التي تقوم شرعيتها على مغالطات تاريخية وتزييف الحقائق تعتمد على الادعاء بما واجهه اليهود في ألمانيا من تعذيب وقتل على يد الحكومة النازية، بينما هي تقوم بذلك اليوم ضد الفلسطينيين على أرض الواقع وأمام أعين مئات الملايين في أنحاء العالم بخلاف ما ادعته ضد النازية الذي لم تثبته الأدلة التاريخية. لذا يعد عنصر العدوان ومحاربة السلام أساساً ومهماً في بناء الحركة الصهيونية منذ تأسيسها إلى اليوم، ولسنا بحاجة إلى أدلة تاريخية تثبت ذلك إذ أنها تقع على مرأى من الجميع.

هذه الأحداث المؤلمة التي يمر بها اخواننا الأشقاء في فلسطين مستمرة ومتواصلة بسبب سياسة العدوان والاحتلال، وتذكر الأجيال بتلك الأحداث التي كانت تمر بها المنطقة منذ عقدين عندما أصبح لبنان تحت الاحتلال الصهيوني ومذابحه البشعة واللاانسانية وأصبح القادة الفلسطينيون تحت الحصار الإسرائيلي. لم تنفرج الأزمة منذ ذلك الوقت حتى عندما وقعت المعاهدات الإسرائيلية العربية وحتى عندما وقع الفلسطينيون اتفاقات أوسلو، وذلك لأن المنهج الصهيوني هو منهج العدوان والاحتلال وليس السلام على الاطلاق.

ولننظر إلى ما قاله رئيس الحكومة الصهيونية في رده على مبادرة القمة العربية للسلام حيث وصفها بأنها مدمرة للدولة العبرية! إذا كان هذا هو وصف مبادرة واضحة للسلام فماذا نتوقع من الصهيونية إذن؟!

وماذا نتوقع أن يحدث؟

يصعب التوقع في خضم هذه الأحداث المملوءة بالغدر والكذب والخداع وسياسة الاحتلال والعدوان والقوة، إلا انه يمكن القول بأن الدولة العبرية ترغب في أن تحدد مستقبلها خلال الخمسين عاماً القادمة من خلال تثبيت أركانها عبر بوابة القتل والاحتلال والاستيطان. فالسلام في مفهوم إسرائيل هو نهايتها والعدوان هو حياتها وهواؤها الذي تتنفسه. وهذا المستنقع الصهيوني لا يريد كلمة عربية واحدة ترفع غصن الزيتون وتأخذ بعضها بالأحضان متناسية خلافاتها من أجل مصلحة الأمة، وانما يريدون استمرار الفرقة وتأصيل الخلاف والمشكلات بين العرب.

علينا نحن العرب تحقيق المزيد من الوحدة والتكامل والافادة من هذه الظروف حتى لا تتكرر في مشهد آخر وفي مكان آخر. وفي مواجهة العدوان علينا القيام بتأصيل السلام ومبادئه والكشف عن حقيقة العدوان في الجانب الإسرائيلي عبر وسائل الإعلام واستخدام الدبلوماسية الذكية المبنية على التخطيط السليم والممارسة وعدم الوقوع في فخ الهدنة والتطمينات والمفاوضات الجوفاء!

وأخيراً، جاءت مخاطبة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز للشعب الإسرائيلي تجسيداً لحقيقة الوضع وطالب إسرائيل أن تغير من سياستها وأن تراهن على السلام بعد أن فشل رهانها على الحل العسكري خلال الخمسة عقود الماضية، وهذا هو الواقع الذي لابد ان يعود إليه الإسرائيليون لانهاء حالة الصراع والعيش بسلام عندما يعود الحق لأهله.

والله الموفق.